

بحوث في فقه الرجال

[38] فإنه بالنظر إلى جميع ما ورد فيه وبتأمله يظهر وجه القدح فيه خصوصا في تلك الظروف التي يؤخذ فيها الرجل على الظن والتهمة ولمجرد احتمال ارتباطه باللائمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين. فإنه ليس إلا لاجل حفظهم ودرء المخاطر عنهم نظرا لجلالة أمرهم وأهميتهم العليا بالنسبة لأمور المذهب بحيث أريد من إبراز المذمة والقدح إيهام السلطة الحاكمة بعدم ارتباطه باللائمة. بينما لو أريد أن يتعامل مع هذه النصوص معاملة قانونية لما كان دعوى وقوع التعارض بين هذه الروايات والتوقف في العمل بروايات عظيم من قبيل زرارة بن أعين (رض). ومنه يظهر أن حقيقة البحث الرجالي من الحقائق الطبيعية الواقعية المرتبطة بملاكات واقعية من حيث البحث ومن حيث النتيجة المستخلصة ولا يوجد لدينا قانون الزامي أو قضاي جعلي تعبدية بأزيد مما عرفت. ومن هنا قد يتحد أشخاص عدة في شخص واحد وإنما أو همت تراجمهم المتعددة ونتيجة بعض الاختلافات الجزئية كقول الرجالي في مكان أنه بصري وفي آخر أنه كوفي أن هناك عدة أشخاص بنفس الاسم واللقب والكنية مع أنه بملاحظة بعض الشواهد يتبين أن الجميع شخص واحد ذو أحوال متعددة وأوضاع مختلفة. فبالحقيقة نحن بحاجة إلى دراسة عامة لكل مفردات الرجل الذي يراد توثيقه أو تضعيفه فلا تفريط بحيث تؤدي إلى المناقشة في الواضحات وذكر الوجوه نقضا وإبراما كما حصل مع الشهيد (قدس سره) حيث ناقش في دلالة لفظ الصدوق على الوثاقة بحجة أن لها معنى آخر تدل عليه.

_____ = وإنا أحب الناس إلي وأحب أصحاب أبي حيا

وميتا.. - اختيار معرفة الرجال ص 139. (*)